بسم الله الرحمن الرحيم

الخُلُقُ الحَسَنُ جَمَالُ البَاطِنِ وَمِفْتَاحُ القُلُوبِ

الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، جَمَّلَ الأَنَامَ بِالْخُلُقِ الْقَوِيمِ، وَوَفَّقَ مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ لِلْخُلُقِ الْكَرِيمِ، أَحْمَدُهُ تَعَالَى عَلَى سُبُوغِ النِّعَمِ، وَأَسْتَدِرُّ مِنْ فَضْلِهِ نَفَائِسَ الْحِكَمِ، وَأَسْتَدْفِعُ بِهِ شُرُورَ النِّقَمِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ الْحَيُّ الْكَرِيمُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ذُو الْخُلُقِ الْعَظِيمِ، ﷺ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا عِبَادَ اللَّهِ:

أُوصِيكُمْ وَإِيَّايَ بِتَقْوَى اللهِ، فَإِنَّهَا حِلْيَةُ الْمُؤْمِنِينَ، وَزَادُهُمْ إِلَى جَنَّاتِ النَّعِيمِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ الأَخْلاقَ أَوْصَافُ الإِنْسَانِ الْبَاطِنَةُ، وَهِيَ السَّجَايَا وَالطِّبَاعُ الْمُشْتَمِلَةُ عَلَى النَّفْسِ، كَمَا أَنَّ الْخُلُقَ هُوَ صُورَةُ النَّفْسِ الظَّاهِرَةُ الْمُدْرَكَةُ بِالْحِسِّ، وَتَكُونُ مَحْمُودَةً كَالْعَفْوِ وَالْحِلْمِ وَالْجُودِ وَلِينِ الْجَانِبِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَتَكُونُ مَذْمُومَةً كَالْكَذِبِ وَالْغِشِّ وَالْغُرُورِ وَالْحَسَدِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَلَيْسَ شَيْءٌ أَيْسَرَ عَلَى النَّاسِ فِي تَدَانِيهِمْ وَتَقَارُبِهِمْ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ، وَلَيْسَ شَيْءٌ يُورِثُ التَّجَافِيَ، وَيُعَكِّرُ الصَّافِيَ مِنْ مِثْلِ سُوْءِ الْخُلُقِ، فَهُوَ اللُّغَةُ الْمُشْتَرَكَةُ بَيْنَ الشُّعُوبِ، لا تَحْتَاجُ إِلَى تُرْجُمَانٍ، وَقَدْ يُوجَدُ الْخُلُقُ فِي إِنْسَانٍ، وَلَوْ كَانَ مِنْ غَيْرِ أَهْلِ الإِيمَانِ، وَمِنْ ثَمَّ كَانَ مِنَ الْمَهَامِّ الرَّئِيسَـةِ لِبِعْثَةِ النَّبِيِّ ﷺ تَثْبِيتُ الأَخْلاقِ الْحَسَنَةِ: ((إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلاقِ))، وَقَدْ كَانَ فِي أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ بَقِيَّةٌ مِنَ الأَخْلاقِ الْحَسَنَةِ كَالْكَرَمِ، وَالنَّجْدَةِ، وَالإِيثَارِ، وَالْغَيْرَةِ، وَالْحَيَاءِ، وَقَدْ جَاءَ الإِسْلامُ بِتَعْزِيزِ الْحَسَنِ وَنَبْذِ السَّيِّئِ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ:

لَقَدْ عُنِيَ الإِسْلامُ عِنَايَةً بَالِغَةً بِالأَخْلاقِ الْحَسَنَةِ، فَأَرْشَدَ إِلَيْهَا فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ، وَصَرَّفَ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ

ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٗا مُّبِينٗا ﴾[1]، وَمِنَ الأَخْلاقِ الْمَحْمُودَةِ حُسْنُ التَّعْبِيرِ، وَقَدْ شَرَعَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَنَا تَعَابِيرَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ تَفِيضُ حَيَاءً، فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ ﴾[2]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَقَدۡ أَفۡضَىٰ بَعۡضُكُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ وَأَخَذۡنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا ﴾[3]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتۡ حَمۡلًا خَفِيفٗا فَمَرَّتۡ بِهِۦ ﴾[4]، وَقَدْ كَانَ نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ ﷺ أَرْقَى النَّاسِ خُلُقًا، فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَاصِفًا نَبِيَّهُ الْكَرِيمَ ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ﴾[5]، وَجَاءَ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ إِذَا صَافَحَ أَحَدًا لَمْ يَكُنْ لِيَنْزِعَ يَدَهُ مِنْ يَدِ مَنْ يُصَافِحُهُ حَتَّى يَكُونَ هُوَ الَّذِي يَنْزِعُهَا، وَكَانَ -عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ- أَشَدَّ النَّاسِ حَيَاءً، فَقَدْ أَتَتْهُ امْرَأَةٌ يَوْمًا تَسْأَلُ عَنْ صِفَةِ الاغْتِسَالِ مِنَ الْحَيْضِ، فَقَالَ لَهَا -عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ-: (... ثُمَّ تَأْخُذِينَ فِرْصَةً مِنْ مِسْكٍ فَتَطَهَّرِي بِهَا، قَالَتْ يَا رَسُولَ اللهِ وَكَيْفَ أَتَطَهَّرُ بِهَا؟ قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ تَطَهَّرِي بِهَا!) قَالَتْ عَائِشَةُ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- فَجَبَذْتُهَا وَقُلْتُ لَهَا: تَتَبَّعِي بِهَا أَثَرَ الدَّمِ. فَمَا أَحْوَجَنَا إِلَى هَذَا الْخُلُقِ الْكَرِيمِ، حَتَّى فِي مَقَامِ التَّعْلِيمِ، وَمَا عَابَ ﷺ طَعَامًا قَطُّ، فَإِنِ اشْتَهَى أَكَلَ وَإِلاَّ أَمْسَكَ.

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ:

إِنَّ الْمُؤْمِنَ مَهْمَا تَحَلَّى بِخِصَالِ الْعِلْمِ، فَبَزَّ بِهِ الأَقْرَانَ، وَمَهْمَا تَقَلَّدَ فِي الْمَنَاصِبِ حَتَّى يُشَارَ إِلَيْهِ بِالْبَنَانِ، وَمَهْمَا مَلَكَ مِنْ ثَرْوَةٍ حَتَّى يُقَالَ يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ فُلانٌ! فَإِنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ يَمَّحِي فِي غَمْضَةِ عَيْنٍ، إِذَا عُرِّيَ مِنَ الأَخْلاقِ الْحَسَنَةِ، وَلا يَكَادُ يُذْكَرُ! وَإِنَّ الْمَرْءَ مَهْمَا كَانَ ذَا نَسَبٍ وَضِيعٍ، وَمَهْمَا دَرَجَ فِي ثَوْبٍ رَقِيعٍ، وَلَمْ يَكُنْ ذَا حَظٍّ مِنْ مَنْصِبٍ أَوْ مَالٍ، فَإِنَّهُ بِالأَخْلاقِ الْحَسَنَةِ يَبْرُزُ فِي أَعْيُنِ النَّاسِ مَلِكًا فِي زِيِّ مِسْكِينٍ، وَرَفِيعًا عِنْدَ الْمُتَوَسِّمِينَ، لأَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ الْمَرْءَ بِلُبِّهِ لَا بِقِشْرِهِ، وَأَنَّ الْمَعْدِنَ الأَصِيلَ لا تَضُرُّهُ طَبَقَةُ الْغُبَارِ الَّتِي تَعْلُوهُ، وَأَنَّ الذَّهَبَ الْخَالِصَ لَا تَضُرُّهُ النَّارُ الَّتِي يَصْلاهَا: ((إِنَّ اللهَ لا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَجْسَامِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ

(١) سورة الإسراء/ ٥٣ .
(٢) سورة النساء/ ٤٣.
(٣) سورة النساء/ ٢١.
(٤) سورة الأعراف/ ١٨٩
(٥) سورة القلم/ ٤

إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ))، فَلَا تَكُنْ – يَا عَبْدَ اللَّهِ – مِنَ الَّذِينَ يُسِيئُونَ إِلَى دِينِ اللَّهِ بِسُوءِ خُلُقِهِمْ، فَإِنَّ أَخْلَاقَكَ مِرْآةُ الإِسْلَامِ. فَكَمْ رَأَيْنَا مِنْ أُنَاسٍ فُتِحَتْ لَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ كَوَّةٌ، فَتَشَبَّعُوا بِمَا لَمْ يُعْطَوْا، وَمَلَؤُوا الأَوْسَاطَ ضَجِيجًا، وَتَطَاوَلُوا عَلَى أَهْلِ الْعِلْمِ تَسْفِيهًا وَتَحْقِيرًا، وَغَرَّهُمْ حِلْمُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، وَسُكُوتُ الْعُلَمَاءِ عَنْهُمْ، لَا عَنْ عَجْزٍ مِنْهُمْ، وَلَكِنْ لِعِلْمِهِمْ أَنَّ مِثْلَ هَؤُلَاءِ لا يَسْعَوْنَ لِطَلَبِ الْحَقِيقَةِ، وَإِنَّمَا يَطْلُبُونَ السُّمْعَةَ وَالظُّهُورَ، وَلَوْ صَدَقُوا فِي الطَّلَبِ، لَتَحَلَّوْا بِحِلْيَةِ الأَدَبِ! وَكَمْ شَاهَدْنَا مِنْ أُنَاسٍ أُتْخِمُوا مِنَ الْمَأْكَلِ، وَأُتْرِفُوا فِي حَيَاتِهِمْ، قَبَضُوا أَيْدِيَهُمْ عَنِ الإِنْفَاقِ مِنْ فُضُولِ أَمْوَالِهِمْ، وَرَمَوْا سَائِلَهُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ، وَلِسَانُ حَالِهِمْ ﴿أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[1]، وَنَسُوا أَوْ تَنَاسَوْا: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾[2]، وَكَمْ شَاهَدَتْ أَعْيُنُنَا مِنْ أُنَاسٍ، عَضَّهُمُ الدَّهْرُ بِنَابِهِ، وَلَمْ يُبْقِ لَهُمْ مِنْ شَيْءٍ يَتَقَوَّتُونَ بِهِ إِلّا مَا لا يَكَادُ يَسُدُّ الرَّمَقَ!، فَإِذَا بِهِمْ يَجُودُونَ بِهِ عَلَى غَيْرِهِمْ، وَقَدْ يَكُونُ هَذَا الْغَيْرُ حَيَوَانًا أَعْجَمَ!

فَاتَّقُوا اللهَ – رَحِمَكُمُ اللهُ – وَتَخَلَّقُوا بِكُلِّ حَسَنٍ، فَحُسْنُ الْخُلُقِ يَفْتَحُ الْقُلُوبَ، وَيَسْتُرُ الْعُيُوبَ، وَإِيَّاكُمْ وَسُوْءَ الْخُلُقِ؛ فَهُوَ يَطْمِسُ الْمَحَاسِنَ، وَيُورِثُ الضَّغَائِنَ.

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظِيمَ لِي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرُوهُ يَغْفِرْ لَكُمْ إِنهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَادْعُوهُ يَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنهُ هُوَ البَرُّ الكَرِيمُ.

*** *** ***

الْحَمْدُ للهِ، وَنَشْهَدُ أَنْ لا إِلـهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَـهُ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، ﷺ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ وَالاهُ.

أَمَّا بَعْدُ، فِيَا عِبَادَ اللَّهِ:

إِنَّ الأَخْلَاقَ الْحَسَنَةَ بَعْضُهَا وَهْبِيٌّ، أَيْ أَنَّهَا مِنْحَةٌ إِلَهِيَّةٌ، فَعَلَى مَنْ مُنِحَهَا أَنْ يَشْكُرَ اللهَ

(١) سورة يس/ ٤٧.
(٢) سورة آل عمران/ ٩٢.

عَلَيْهَا، وَذَلِكَ بِاسْتِعْمَالِهَا فِيمَا خُلِقَتْ لَهُ لِوَجْهِ اللهِ، لا يَبْتَغِي بِهَا جَزَاءً وَلا شُكُورًا، وَبَعْضُ الأَخْلاقِ كَسْبِيٌّ، أَيْ أَنَّ الْمَرْءَ يَحْتَاجُ إِلى مُعَالَجَةِ طَلَبِهَا وَاكْتِسَابِهَا، وَذَلِكَ يَتَطَلَّبُ بَذْلَ الْجُهْدِ، وَالأَخْذَ بِالأَسْبَابِ، وَمِنْ تِلْكَ الأَسْبَابِ مُصَاحَبَةُ وَمُخَالَطَةُ ذَوِي الأَخْلاقِ الْحَسَنَةِ، فَفِي الْحَدِيثِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: ((الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ))، هَذَا وَإِنَّ مِنَ الْوَسَائِلِ الْمُعِينَةِ عَلَى التَّخَلُّقِ بِالأَخْلاقِ الْحَسَنَةِ تَأَمُّلَ قِصَصِ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلامُ، وَالنَّظَرَ فِي سِيرَةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾[1]، وَأَنْ يُقْرَأَ كَذَلِكَ فِي سِيرَةِ أَصْحَابِهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، وَسِيرَةِ الْعُلَمَاءِ الرَّبَّانِيِّينَ، فَإِنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ خَيْرُ مُعِينٍ عَلَى التَّحَلِّي بِالأَخْلاقِ الْحَمِيدَةِ، وَالتَّخَلِّي عَنِ الأَخْلاقِ الذَّمِيمَةِ، ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[2].

هذَا وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى رَسُولِ اللهِ الأَمِينِ، فَقَدْ أَمَرَكُمْ بِذَلِكَ حِينَ قَالَ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾[3].

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ وسَلَّمتَ عَلَى سَيِّدِنا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنا إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنا إِبْرَاهِيمَ فِي الْعَالَمِينَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنْ خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ، وَعَنْ أَزْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وعَنَّا بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ جَمْعَنَا هَذَا جَمْعًا مَرْحُومًا، وَاجْعَلْ تَفَرُّقَنَا مِنْ بَعْدِهِ تَفَرُّقًا مَعْصُومًا، وَلا تَدَعْ فِينَا وَلا مَعَنَا شَقِيًّا وَلا مَحْرُومًا.

اللَّهُمَّ أَعِزَّ الإِسْلامَ وَاهْدِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْحَقِّ، وَأَجْمِعْ كَلِمَتَهُمْ عَلَى الخَيْرِ، وَاكْسِرْ شَوْكَةَ

(١) سورة الأحزاب: / ٢١.
(٢) سورة العنكبوت/ ٦٩ .
(٣) سورة الأحزاب/ ٥٦.

الظَّالِمِينَ، وَاكْتُبِ السَّلامَ وَالأَمْنَ لِعِبادِكَ أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ يَا ذَا الجَلالِ وَالإِكْرَامِ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ بِكَ نَستَجِيرُ، وَبِرَحْمَتِكَ نَستَغِيثُ أَلاَّ تَكِلَنَا إِلَى أَنفُسِنَا طَرفَةَ عَينٍ، وَلاَ أَدنَى مِنْ ذَلِكَ، وَأَصلِحْ لَنَا شَأْنَنَا كُلَّهُ يَا مُصلِحَ شَأْنِ الصَّالِحِينَ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا احْفَظْ أَوْطَانَنَا وَأَعِزَّ سُلْطَانَنَا وَأَيِّدْهُ بِالْحَقِّ وَأَيِّدْ بِهِ الْحَقَّ يَا رَبَّ العَالَمِينَ، اللَّهُمَّ أَسْبِغْ عَلَيْهِ نِعمَتَكَ، وَأَيِّدْهُ بِنُورِ حِكْمَتِكَ، وَسَدِّدْهُ بِتَوفِيقِكَ، وَاحفَظْهُ بِعَينِ رِعَايَتِكَ.

اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ وَأَخْرِجْ لَنَا مِنْ خَيْرَاتِ الأَرْضِ، وَبَارِكْ لَنَا فِي ثِمَارِنَا وَزُرُوعِنَا وكُلِّ أَرزَاقِنَا يَا ذَا الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ.

رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِكُلِّ مَنْ آمَنَ بِكَ، الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالأَمْوَاتِ، إِنَّكَ سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيبُ الدُّعَاءِ.